المحاضرة الثالثة عشر:

اللـــه :

يعرف الكندي الله فيقول : انه مؤيس الايسات عن ليس ـ أي موجد الاشياء عن عدم . ووجوده واجب لذاته وبذاته . لم يكن عدما ، ولا يمكن أن يكون قبل وجوده وجود ، لانه موجود منـذ الازل .. أي قبل الزمان . وان قوامه في ذاته وليس في غير ذاته . وانه لا علة له ، ولا موضوع ، ولا محمول ، ولا فاعل ، ولا سبب ، ولا جنس . لانه لو كان له جنس لكان نوعا .. ولكان له موضوع ـ هو القابل لصورته وربما صورة غـــيره كذلك ـ ومحمول هو الصورة التي يتميز بها فيكون هو هو . وهذا محال ، لان الازلي لا موضوع ولا محمول له ، والا استحال أن يكون خالدا .

ويذهب الكندي الى أن الازلي لا يفسد ، لان الفساد يتناول المحمول لا الموضوع ، من حيث هو « تبدل المحمول لا الحامل . فأما الحامل الاول الذي هو الأيس فليس يتبدل ، لان الفاسد ليس بتأييس أيسيته . وكل تبدل فانما تبدله بضده الاقرب ، أعني الذي معه في جنس واحد .. كالحرارة المتبدلة بالبرودة . لاننا لا نعد من المقابلة أن تقابل الحرارة باليبس أو بالحلاوة ، أو بالطول أو ما كان كذلك . والاضداد المتقاربة هي جنس واحد . فان فسد الازلي فله جنس . وهو لا جنس له . وهذا خلف لا يمكن . فالازلي لايمكن أن يفسد »(١٨) .

ثم ينفي فيلسوفنا الاستحالة عن الازلي كذلك • من حيث ان الاستحالة تبدل وانتقال من حالـة لاخرى • والازلي لا يحتاج الى مثل هذا لانه كامل • والكامل ثابت ، لانه لا يمكن أن ينتقل الى ما هو أفضل ، اذ ليس هنالك ما هو أفضل ، وليس الازلي بنـاقص

فيحتاج الى ذلك • كما ان الازلي لا يحتاج الى أن ينتقل الى ما هو دون ، لان ذلك انتقاص له ، ثم ان التبدل والاستحالة يعني أن يكون للازلي جنس • وهو لا جنس له •

وأعتقد ان الذي حمل الكندي على افتراض العلة الاولى هو عدم تمكنه من تصور أو ادراك امكانية كون الشيء علة وجود ذاته ، علة تهويه وتأييسه بألفاظه هو • وذلك نتيجة فهمه الميكانيكي لمبـدأ السبب الكافي ، وفصله بين المادة والحركة •• اعتقادا منه ان المادة تختلف عن الحركة في الطبيعة ، وان الحركة ليست غير صـفة تضاف للمادة •• ولا تقوم الا بها وفيها •

وفي معرض مناقشة لا مكانية أن يكون الشيء علة وجـود ذاته •• يطرح الكندي أربعة احتمالات هي : أن يكون الشيء عدما ـ أو كما يسميه هو ليساً ـ وذاته ليساً • فينفي هذا الاحتمال من حيث ان العدم لا يمكن أن يكون علة لوجود • واما أن يكون ليساً وذاته أيساً • وهذا محال كذلك ، لان العدم لا يمكن أن يكون علة ولا معلولا • هذا الى ان مغايرة الذات له يعني أن يكون الشيء هو لا هو • وهذا يناقض قانون الوحدة • واما أن يكون الشيء أيسـاً وذاته ليساً •• وقانون الوحدة ينفيه أيضا • واما أن يكون الشيء أيساً وذاته أيساً •• وقانون العلية ينفيه •

ويجمع الكندي بين الوحدة والعلة الاولى • فيجعلها صفة خاصة بهذه العلة ، لا يمكن أن تطلق على جنس أو نوع أو شخص أو فصل أو خاصة أو عرض أو كل أو جزء أو جميع أو بعض • ذلك لان الوحدة لا يمكن أن تكون لهذه جميعها حقيقة ولكن بالوضع • فهي اذن عرض فيها وما هو عرض فليس بذاتي •• أي أنه آت من غير ذات الشيء • فهي لذلك « أثر في المعروض فيه ، والاثر من المضاف ، والأثر من مؤثر • فالوحدة فيها أثر من مؤثر اضطرارا » •